شخصية الأمير عبد القادر في المخيال الشعبي بين الحقيقة والخيال (1807-1883)

The Personality of Emir Abd al-Qadir in popular imagination between Truth and imagination (1807-1883)

جمال حريشة[1] *، علي طالبي[2]،
[1]جامعة الشلف (الجزائر)، البريد الالكتروني (haricha2017@gmail.com)
[2] جامعة الشلف (الجزائر)، البريد الالكتروني (alitalibi1982@ gmail com)

Djamal Haricha [1*], Ali Talbi [2]
[1] Chlef University (Algeria) & [2] Chlef University (Algeria)

تاريخ الاستلام: 2021/07/31 تاريخ القبول: 2022/11/13 تاريخ النشر: 2023/01/25

الملخص:

تتميز شخصية الأمير عبد القادر بأنها شخصية متعددة الجوانب ومختلفة الأبعاد، وقد تركت أثرها على المجتمع الجزائري، كونها جمعت بين الشخصية الدينية والأدبية والسياسية والعسكرية، وهذا ما جعلها محل استغراب وتعجب لدى عامة الناس. لقد تحولت شخصية الأمير عبد القادر من كونها ظاهرة إنسانية إلى ظاهرة أسطورية، تشكلت في الذاكرة الشعبية الجزائرية من خلال ما نسجه الخيال الشعبي من خوارق وعجائب حولها.

لم يعد النظر إلى الأمير عبد القادر من منظور العامة كبطل قاوم الاستعمار الفرنسي أو كشاعر ملهم أو كنموذج أخلاقي متصوف فحسب، وإنما أصبح ينظر إليه كشخصية عجيبة لها من القدرات الخارقة والكرامات الحسية المختلفة التي صنعت منه بطلا خارقا ووليا من أولياء الله الصالحين وهو ما جعلها شخصية مقدسة.

وفي هذه الورقة البحثية سنتطرق إلى مفهوم المخيال الشعبي الجزائري ومميزاته وتشكل صورة الأمير عبد القادر الجزائري في الذاكرة الشعبية وما لحقها من فكر أسطوري، مستدلين في ذلك من كتابات وروايات محلية .

الكلمات المفتاحية: المخيال الشعبي، الأمير عبد القادر، الذاكرة الشعبية، الأسطورة .

Abstract:

The personality of Prince Abdul Qadir is characterized as a multifaceted personality with different dimensions, and it has left its impact on Algerian society, as it combined the religious, literary, political and military personality, and this is what made it surprising and amazed by the general public. The personality of Prince Abdul Qadir has turned from being a human phenomenon to a mythical one, formed in the Algerian popular memory through what the popular imagination has woven of paranormalities and wonders around it.

* جمال حريشة.

From the perspective of the public, Prince Abdul Qadir was no longer seen as a hero who resisted French colonialism, an inspiring poet, or a mystic moral model. Rather, he was seen as a strange figure with supernatural abilities and various sensory dignities that made him a superhero and one of the righteous parents of God, which made her a personal Holy.

In this research paper, we will discuss the concept of the Algerian popular imagination and its features, and form the image of Prince Abdul Qadir Al-Jazaery in the popular memory and the legendary thought that followed it, drawing on this from local writings and novels.

keywords: Popular imagination, Prince Abdul Qadir, popular memory, the legend

1- مقدمة :

عُرِفَ عن الأمير عبد القادر الجزائري بأنه رجل البطولة، نظرا لتحمله أعباء الدولة والجهاد في سن مبكرة، وتمكن في فترة وجيزة من تأسيس دولة لها نظامها الإداري والعسكري، أنزلت الضربات الموجعة بالجيوش الفرنسية في أي زمان ومكان شاءت، وبذلك بقي اسمه ملازما للفروسية والشجاعة، وما إن ذكرت البطولة إلا وذكر معها الأمير عبد القادر الجزائري.

بالمقابل تتميز شخصية الأمير عبد القادر بأنها شخصية متعددة الجوانب ومختلفة الأبعاد، وقد تركت أثرها على المجتمع الجزائري، كونها جمعت بين الشخصية الدينية والأدبية والسياسية والعسكرية، وهذا ما جعلها محل استغراب وتعجب لدى عامة الناس.

لقد تحولت شخصية الأمير عبد القادر من كونها ظاهرة إنسانية إلى ظاهرة أسطورية، تشكلت في الذاكرة الشعبية الجزائرية من خلال ما نسجه الخيال الشعبي من خوارق وعجائب حولها.

لم يعد النظر إلى الأمير عبد القادر من منظور العامة كبطل قاوم الاستعمار الفرنسي أو كشاعر ملهم أو كنموذج أخلاقي متصوف فحسب، وإنما أصبح ينظر إليه كشخصية عجيبة لها من القدرات الخارقة والكرامات الحسية المختلفة التي صنعت منه بطلا خارقا ووليا من أولياء الله الصالحين وهو ما جعلها شخصية مقدسة.

وهو ما دفعنا إلى التساؤل التالي:

كيف تشكلت شخصية الأمير عبد القادر في الذاكرة الشعبية بين الحقيقة والأسطورة ؟

2- مفهوم المخيال الشعبي ووظائفه

2-1- مفهوم المخيال الشعبي الجزائري

- **المخيال :** نشأت مفردة " المخيال " كانت في الانثربولوجيا الفرنسية على يد عالم التحليل النفسي الفرنسي جاك لاكان، وهي تعني فعل التأويل لما يعيشه الإنسان في علاقته بذاته أو لما يعيشه في علاقته بالآخر . بشكل أوضح، المخيال عبارة عن مخزن من الصور والتمثلات والرموز والحكايات والأساطير التي تشكلت تاريخيا في الذاكرة الجماعية أو في الذهن كنتيجة لعملية التأويل التي تحاول بها جماعة ما رسم واقعها الداخلي أو واقعها مع الآخر.

– **المخيال الاجتماعي:** يعتبر مفهوم المخيال من المفاهيم التي يصعب تحديد معناها بسهولة، فالمخيال الاجتماعي هو الجانب اللامرئي في حياة الأفراد ويتشكل من مجموعة من العناصر كالرموز والصور ويظهر من خلال أجزائه كالايدولوجيا والأسطورة والحكاية (Durand Gilbert,1976,07) وينقسم المخيال الاجتماعي إلى ثلاثة أنواع وهي المخيال التمثيلي حيث ينسخ الفرد كل ما شاهده من الواقع عاينه واحسه ، والمخيال المبدع حيث يتم الانتقال من مجال الذاكرة الحافظة إلى الذاكرة المبدعة بواسطة قوة تتصرف في الصور بالتركيب والزيادة والنقصان (Assaraf Albert,1999,08)، والمخيال الوهمي ويستمد عناصره من خلال نسج الرؤى والأحلام نسجا خياليا لا صلة له بالوجود الحقيقي ، فالمتخيل الجماعي يولد لدى الأفراد أوهاما واستبهامات تساهم في تحفيزهم وتفقدهم التحكم الكلي في وعيهم وتجعلهم ينخرطون بحماسة في الاستبهام الجماعي .(محمد سبيلا ، 1992، 112)

– نستنتج أن المخيال الاجتماعي هو الجانب اللامرئي في حياة الأفراد تعمل التنشئة الاجتماعية على ترسيخه في أذهانهم بواسطة عدة وسائل ومؤسسات أهمها الأسرة التي تستخدم بدورها الحكاية لترسيخ قيم ومبادئ وتصورات المجتمع.(Christin Radolphe ,1999,07)

2-2- وظائف المخيال الشعبي

تتعدد وظائف المخيال بتعدد مواضيع القصة ، وتتداخل وظائفه الاجتماعية حتى وان بدت متباينة ، ونوجزها فيما يلي:

– الوظيفة الترفيهية التعبيرية

– يتميز المخيال الاجتماعي بالسيرورة والديناميكية تتفاعل أجزاءه لتنتج خطابات اجتماعية غير مقننة وغير محكمة البناء وتختلف عن الواقع المادي الملموس ولذا فهي تقوم بدور المنفس الاجتماعي الذي يقلل من حدة ضغوطات الواقع كاستخدام التراث الذي يعمل على ترسيخ القيم والمعايير وثوابت المجتمع وهذا بفضل عملية التنشئة الاجتماعية وهنا يبرز دور الجدات وكبار السن حاملي التراث (فوزي الفتيل، د.ت، 15)، ورغم ما تحمله الحكايات المرحة أو الفكاهية من ضحك غير أنها تحمل عبرا وأحكاما تساعد على تحقيق المجتمع السليم.

– يعكس التطور التاريخي للمجتمعات احتكاكها وتفاعلها مع بعضها البعض وفي خضم هذا الاحتكاك والتفاعل تبرز بعض مكونات المخيال التي تبدو للوهلة الأولى بلا معنى خصوصا أن هذه المعطيات مكونة في إطار اجتماعي يعرف تغيرات سريعة قد تخلق نوعا من المجابهات بين المعتقدات القديمة والجديدة (Bouhdiba Abdelwahab,1978,51)، فالحاكي لا يعبر عن حكاية ابتدعها من العدم إذ هي وليدة تكوينه الفكري والتاريخي والإعتقادي.

– الوظيفة التثقيفية التربوية

– بما ان عملية التعلم تبدأ في الأسرة أين يتلقى الطفل أولى عناصر تكوينه ومن الإرث **" عادة بوك لا يغلبوك "** و**" اقلب القدرة على فمها تخرج البنت تشبه أمها"** وغير ذلك فالعائلة تغرس العادات يوم بعد يوم في الطفل الذي يقلد الإشارات التي يراها ، ويستمع للأقوال المأثورة والأمثال والحكايات ، وبفضل العائلة

عقلية الطفل تتمثل بلا وعي بعقلية الجماعة والتي يقتبس منها أفعاله مما يسمح له بالتكيف مع ذاته (استقرار نفسي) ومع الآخرين (اندماج اجتماعي).(Zerdoumi Nafissa,1982,173)

إذن فالخيال ينشط بسبب الصدام بين المعلوم والمجهول فهو يوسع إدراك الفرد نحو المستقبل، ويدفع الفرد للتطلع على خبرات الآخرين وهذا ما يمنحه آليات الدفاع لتخطي الصعوبات ، وبفضل عملية الضبط الاجتماعي التي تساعد الفرد على التكيف الاجتماعي بتفعيل السلوكات المستحبة ونبذ السلوكات غير المستحبة. (محمد السويدي،1991،50)

– يعتبر الفرد اجتماعيا بطبعه، واجتماعيته هذه لا تتأتى إلا إذا تشبع بثقافة المجتمع الذي يعيش فيه حيث لا يصبح الفرد عضوا مندمجا في المجتمع إلا إذا اكتسب ثقافة مجتمعه عن طريقة التنشئة الثقافية الخاصة . (محمد السويدي،1991،51)

– الوظيفة العلاجية

يؤدي المخيال دورا هاما في التعبير عن الجوانب غير السوية والمرضية في المجتمع ، فهو بهذا يعمل على خلق التوازن الاجتماعي ، فالمخيال الاجتماعي بجميع مكوناته الدينية والأسطورية يلعب في التصور الشعبي دور الحامي والمعالج للأخطار التي يمكن أن يصادفها الإنسان في حياته. Bouhdiba (Abdelwahab ,1978,51)

2-3- مصطلحات متعلقة بالمخيال الشعبي

تتداخل مع المخيال الشعبي مجموعة من المصطلحات والألفاظ وفي ما يلي بيان ذلك :

– المخيال الشعبي والأسطورة

– يعرف دافيد كرتشي وريتشارد كرتشفيد الأسطورة أنها كل ما نعتبره معتقدات خرافية وهي كل المعتقدات التي برهنت على أنها على خلاف مع الحقائق الموضوعية والتي يحتمل أن يشارك في الاعتقاد بها عدد كبير من أبناء المجتمع وتتضمن قضايا تصف ظواهر فوق الطبيعة مثل القضاء والحظ والشيطان .."،(عبد الرحمان عيسوي، 1984، 15) وعليه فالأسطورة هي كلما يتنافى وما يؤمن به العقل ، وكل ما يتعلق بجوانب ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا، شريطة أن يتبناها معظم أفراد المجتمع ، ولذلك فالأسطورة عند جيمس دريفرJames Drifferهي عقيدة أو نسق من العقائد قائمة على أساس صلة خيالية بين الأحداث غير قابلة للتبرير على أساس عقلي، وهي مجموعة من العقائد والمؤثرات والقوى التي يقبل وجودها دون نقد. (عبد الرحمان عيسوي، 1984، 16).

– فالأسطورة ترتبط بالعقيدة الدينية وتعبر عن مشاعر المجتمع ومحاولة للإجابة عن الظواهر الصعبة أين يميل المجتمع لطرق التفكير المظلمة والمعقدة، والمخيال يتدخل لربط الأحداث وما لا يؤمن به العقل وهذا قصد خلق التوازن النفسي والاجتماعي للأفراد . تعد الأسطورة مرجعية من مرجعيات عديدة للمخيال الشعبي .

– المخيال الشعبي والذاكرة الشعبية

تعتبر الذاكرة الشعبية أو الذاكرة الفولكلورية هو مصطلح تعبيري يُستخدم لوصف القصص والفولكلور أو الأساطير حول الأحداث الماضية التي تم نقلها شفوياً عن طريق التلقين من

جيل إلى جيل، ومنها أحداث تعود إلى مئات أو آلاف أو حتى عشرات الآلاف من السنين، وغالباً ما تكون ذات أهمية محلية، ويكمن تفسير الخصائص الفيزيائية للذاكرة الشعبية في البيئة المحلية، وتوفير أسباب التقاليد الثقافية أو إعطاء علم أصول الكلام عن أسماء الأماكن المحلية، فالمخيال جزء لا يتجزأ من الذاكرة الشعبية .

3- عوامل إلتصاق الأسطورة بشخصية الأمير عبد القادر الجزائري

ليس من شك في أن عدة عوامل مختلفة قد اجتمعت لتضفي على الأمير عبد القادر الجزائري سمة الشخصية الأسطورية ومنها :

3-1- العامل الحربي البطولي للأمير عبد القادر الجزائري

كان الأمير عبد القادر إلى جنب والده الشيخ محي الدين في الهجومات التي شنها على الجيش الفرنسي بمدينة وهران، وقد استطاع الشيخ محي الدين أن يُزعزع العدو ويرعبه، وهنا برز ابنه"عبد القادر"، الذي أظهر في المعارك التي شارك فيها مع والده شجاعته وبطولته أبهرت الجميع.

معارك الامير تحت رايه والده محي الدين الشريف معركه خنق النطاح الاولى من 7 الى 17 افريل ___1832 وفد شارك.الامير كمقاتل عادي فكان متحمسا اكثر تحت قياده ابيه كما شارك في معركه راس العين وسانت اوندري من 3 الى5 ماي 1832 واظهر قوه خارقه في المعركه ليشارك في معركه النطاح الثانيه من منتصف جوان حتى نهايه اوت 1832 وكان قائدها فاظهر شجاعه فايقه وحنكه عاليه ثم شارك في معركه وهران مزغران من. 19 سبتمبر حتى _23 اكتوبر 1832 تحت امرة أبيه ثم شارك في معركه سيدي شبال 10 _نوفمبر 1832 ويمكن القول انه من هذه المعارك استنتج الامير ان محاربه فرنسا وهزيمتها لا يكون الا بجيش منظم ومدرب ودوله ذات اركان واسس قويه

وفي هذا الصدد يقول شارل هنري تشرشل **" لقد آمن عبد القادر إيمانا عميقا بضرورة الاتحاد المطلق بين مواطنيه، لكي يحقق لهم استقلالهم المشترك، لقد قرر أن يقارع بسيفه الذين يشكون أو يحاولون أن يقاوموا سلطته".** (شارل هنري تشرشل، 1974،34)

ومن أهم معارك الأمير بعد مبايعته:

1. معركة المقطع 18 :جوان 1833، أرزيو، ضد تريزيل.
2. مستغانم: 27 جويلية 1833، مستغانم، ضد دي ميشال.
3. التافنة: 25 جانفي 1836، تلمسان، ضد كلوزيل.
4. السكّاك: 6 جويلية 1836، تلمسان، ضد بيجو.
5. غابة كرازة: 27 أفريل 1840، العفرون، ضد فالي.
6. موزاية: 12 ماي 1840، البليدة، ضد فالي.
7. معركة الزمالة 16 :ماي 1843، جبال عمور، ضد دومال.
8. جبل كركور: 23 سبتمبر 1845، جبال عمور، ضد مونتنياك.

9. وادي مرسي: 26 سبتمبر 1845، جبال عمور، ضد جيرو.

لقد كان للأمير عبد القادر مع الاستعمار الفرنسي معارك شتى بين تلمسان وحدود المغرب ، ومن أشهرها معركة سيدي إبراهيم التي قتل فيها الكولونيل" مونتانياك" Montaniak فازدادت مكانته في نفوس العامة بهذه المنطقة سموا وجلالا، وبمرور الزمن تكونت للأمير في مخيلة الناس صورة ذلك البطل الذي يأتي الخوارق. (أوشاطر ، 2018، 267)

3-2- العامل الديني في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري

لقد جمع الأمير عبد القادر بين الدهاء العربي والشجاعة الحربية والطموح، ولكنه كان يتسم بالحلم والعدل على قدر ما تسمح به مواقفه وتطلعاته، وهو يعيش من الوجهة الدينية حياة ورعة، متمسكا بالعادات والشرائع الظاهرية، ويؤكد سلوكه في كل مناسبة مدى تسامحه وخلوه التام من الأحكام المسبقة على من يخالفه في الرأي، وهو متمكن من الكتابة العربية واللغة العربية، ومتمكن من الأدب العربي، ويخصص أوقات راحته للقراءة للأدباء والشعراء العرب، ويعرف تاريخ الخلفاء، وكان يشعر في نفسه، على ما يظهر، القدرة على أن يعيد الهلال ما كان له من غلبة وعظمة، ويتمسك في أسلوب حياته بالعادات المتبعة، بل هو يعيش أكثر بساطة وتواضعا من معيشة معظم العرب، لا يرتدي أبدا ألبسة مذهبة أو مفضفضة، إلا فوق أسلحته وجياده. (يوهان كارل بيرنت، 2012، 73)

وللمرة الثانية يعجب بكون الأمير ليس له سوى امرأة واحدة، و لم يكن هناك في الواقع ما يشغل قلبه غير حبه للمجد وتطلعه للأعمال البطولية، يضاف إلى ذلك حلمه ولطفه، ولذلك لم يكن من المستغرب أن يحبه شعبه ويحترمه أعداؤه من المسلمين والمسيحيين على حد سواء(يوهان كارل بيرنت، 2012، 74).

وليس من الغرابة أن يكون الأمير عبد القادر المتعلق بالطريقة القادرية قد أمضى شطرا من حياته في العبادة والزهد في زاوية القيطنة وأنهى أيامه بأعمال إنسانية وفقا لمبادئ الدين والشريعة الإسلامية حتى وفي أصعب الظروف وأحرجها، لقد كان عميق الإيمان بالله وبالدين وشديد التمسك بالأخلاق والمبادئ الإنسانية.

وكان من ورعه وتعففه انه كان لا يدخل بطنه ولا بيته شيء من متاع بيت المال قل أو جل ومن زهده أن الهدية التي يخص بها فلا يعبأ بها وإنما يصرفها في مصارفها ببيت المال ، ومن ورعه انه لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا ما خلص من الشبه .

لقد اكتسب الأمير صورة الرجل المقدس حيث كانت ترى فيه القبائل التي تناصره الشخص الذي يخلصهم من النصارى أو كما قال الألماني برهان"**... كانوا ينتظرون من رجل الساعة الذي كان عليه أن يخلصهم من دناءة المسيحيين**..". (Generale Paul azan ,1945,132)

3-3- العامل الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري

نوجز بعض المواقف التي أظهرت الطابع الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر :

- اعتبر الأمير عبد القادر، وهو المحارب والمقاوم للاستعمار الفرنسي، أن كل جندي فرنسي يتم أسره يعتبر أسير حرب لا يسمح بإهانته، كما حرم تحريما قاطعا قتل الأسير وهو مجرد من السلاح، وكان

دائما يدعو جنوده إلى معاملة الأسير الفرنسي أو الأوربي معاملة حسنة، وكان يسهر شخصيا على معالجة الجرحى والمرضى من الأسرى. وفي حال شكوى الأسير من سوء المعاملة، تسقط المكافئة المالية التي كانت تعطى لمن يقدم أسيرا وتتبعها عقوبات أخرى، وهي وإن كانت مبادئ أساسية في الدين الإسلامي إلا أنّ الأمير عبد القادر يجسدها تجسيدا كاملا وفعليا، وهذا ما جعل فيما بعد أعدادا من الأسرى الفرنسيين القدامى، الذين تلقوا علاجا من قبل الأمير، يأتون من مناطق نائية إلى قصر "بو" وقصر "أمبواز" حيث كان الأمير معتقلا، لتحية من كان المنتصر بالأمس.

- ففي سنة 1960 دافع عن مسيحي الشام وحماهم وقصد آنذاك الجنرال بوفور دوتبول Beaufort d'Hatpoul قائد الحملة الفرنسية ، ليجتمع به ويطلب مساعدته في حل المشكلة (أديب حرب، 12،2005) ، وقد كانت له طريقة خاصة في معاملة الأسرى فكانت خير مثال لإنسانيته ، إذ كانوا موضع اعتناء واهتمام كبيرين ، وكانت زوجته تسهر على راحة الأسيرات وتقدم لهن المأكل والمشرب." (أديب حرب، 13،2005).

- عندما كان الأمير عبد القادر في فرنسا وأثناء سجنه في أمبواز ألف رسالة سماها " المقراض الحاد لقطع الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد " وكان سبب تأليفه لهذه الرسالة أن أحد القساوسة المسيحيين قال : " **إن الغدر وعدم الوفاء به غير قبيح ...إلى آخره** " .

- وقد دهش الأسقف عندما قرأ هذه الرسالة فقال: ".. **إني أعجب من هذا الرجل بالرغم من الحالة التي هو عليها فأعانه لم يفرط في دينه و لم يترك أي وسيلة للدفاع عنه...** ".وكان لهذا القسيس لقاءا مع الأمير وبمجرد أن خرج من عنده عقد اجتماعا في كنيسته مع القسيسين الآخرين وكانوا في انتظاره ليطلعهم ما دار بينه وبين الأمير فقال لهم: **"...أحمد المسيح أني نجوت ولو بقيت مع الأمير ولو مدة وجيزة أخرى لجعل مني مسلما يدافع عن الإسلام ويعادي النصرانية** .... ".ثم أردف وقال : " **إن وجود الأمير بين ظهرانينا خطر عظيم ويجب علينا جميعا أن نجهز جميع إمكانياتنا لكي يسمح له بالخروج من فرنسا وان كابرت الحكومة وأصرت على أن تبقيه بمنفاه فسيحل بنا ما حل بالأراضي الاسبانية يوم افتتحها العرب وعمروا فيها ثمانية قرون بأكملها. لو بقي الأمير هنا لأصبحت باريس وجميع القرى الفرنسية مواطن تقام فيها المساجد لا البيع التي تقوم اليوم واسمعنا فيها القرآن يفسر في جامعاتنا لا الكتاب المقدس كما يجري اليوم ....**" (القاضي مسعود مجاهد الجزائري (د.ت)،381)

وهي نظرة لما قام به الأمير من انجاز فكرة التعايش بين الإسلام والمسيحية من خلال الأعمال الإرشادية المشتركة وزرع الإحساس بالأمان .

3-4- عامل التقديس للشخصيات التاريخية :

اكتسب الأمير صورة الرجل المقدس بين أهله والقبائل التي تحاربه ويظهر ذلك جليا في عديد المذكرات التي كتبت حوله، حيث لم يكن ينادى إلا بـــ" مولانا" أو " سيدنا" ومثل هذه الكلمات التي وصفت الأمير بالبطولة كثيرة في جل الكتابات حوله .

وقد كان لهيئة الأمير وأوصافه الخارجية لمن كتبوا عنه ورسموا صورته مصدر الهام ومنبع خيال شارد ظهر الأمير فيه بمظهر الفارس القديس، حيث يقول بول أزان الذي أرخ لمعركة سيدي إبراهيم على لسان احد شخصيات كتابه الذين شاهدوا الأمير **"... فللأمير نظرات ساحرة مذهلة، وله صوت كصوت الأنبياء.."** (Generale Paul azan ,1945,141).

تميز عبد القادر بدهاء وشجاعة وثقافة واسعة، إلى جانب أسلوب حياته وطريقة معيشته البسيطة في المأكل والملبس، كلها صفات جعلت منه في نظر الناس أميرا عظيما (برونو، إتيان،22،2001) .

4- صورة الأمير عبد القادر في الذاكرة الشعبية

4-1- شخصية الأمير عبد القادر بين الحقيقة والخيال

إن السعي لتحرير الوطن من المستدمر الفرنسي هي عنوان حياة الإنسان المقاوم للاستعمار ومسيرته ونضاله تكون ملهمة للأجيال المتعاقبة محل حديث الخاص والعام نظير ما قدموه من تضحيات جمة في تحرير الوطن والفرد ومن هؤلاء شخصية الأمير عبد القادر الذي كان مصاحبا لوالده محي الدين الشريف أين رحل وارتحل كغيره من أبناء الوطن حفظ القران الكريم على يد والده وتلقى تعليمه بالزاوية وأجاد القراءة والكتابة وهو في سن الخامسة ونال الإجازة في تفسير القران والحديث النبوي وهو صاحب 12 سنة، كما اهال على العلوم المختلفة من تاريخ وفلسفة ورياضيات وفلك وطب في أم عسكر وخارجها ، كما التقى بعلماء كثر ساهموا في تقوية شخصيته وزاده المعرفي كأحمد بن خوجة وأحمد بن الطاهر البطيوي ولتحمل المسؤولية زوجه أبوه وهو صاحب 15 سنة من ابنة عمه لالة خيرة خلقا وأخلاق لتكتمل شخصيته، وفي سن 18 عشر سافر مع والده إلى الحج ليزور أثناءها مناطق الوطن العربي ويتعرف على حياة الترحال وظروفها الصعبة وقد جمع الأمير الشاب بين العلم الشرعي والعقيدة .

ظهرت ملامح شخصيته الحربية منذ نعومة أظافره فتعلم الفروسية وركوب الخيل والمبارزة والتي تفوق بها وبرع، ونظير ما تميز به من صفات وأخلاق حسنة وتعدد للمهام من فيلسوف وشاعر وأديب ومجاهد ، تمت مبايعته تحت شجرة الدرداء وعمره 24 سنة ولقب بناصر الدين بحضور العلماء والأعيان ووجهاء القوم.

أن الأمير عبد القادر كان شخصا مربوع القامة قويا مفتول العضلات ابيض البشرة عريض الجبين أهدابه سوداء ودقيقة على عينين زرقاوتين تشعان بالأمل، أقنى الأنف رقيق الشفتين، أسود الشعر كثيف اللحية السوداء، متوسطة الطول، يضع على رأسه عمامة بيضاء ويرتدي القشابية ويلبس برنوس من وبر البعير، نظراته كلها شجاعة ورجولة وتواضع .

ان.شخصيته جعلت منه مقاوما للمستدمر الفرنسي مؤسسا للجزاير الحديثة متحديا لظروف السجن متكيفا ومتأقلما مع حياه النفي والهجرة

4-2- عظمة وخوارق الأمير عبد القادر بين الحقيقة والخيال

تحدث الكثير عن شخصية الأمير بكونه شخصية مرموقة ونموذج رائد ورجل حداثة ونهضة إلى شخصية متشبعة بالقدرات الخارقة والكرامات الحسية والقصص المثيرة من خلال الذاكرة الشعبية للجزائر أو ما نتج من نسج الخيال الشعبي.

- ما علق بشكله الخارجي من أساطير

- **نظره :** جاء في كتاب الأمير عبد القادر للألماني برهان كارل بيرنت ما يلي:**".. ساحر بنظراته يخافه الأعداء، بمجرد مروره بوسط المعركة.."**

- رعاية الأرواح غير المرئية له :

- **شجاعته :** قالوا فيه : **".. انه لا يعرف الهزيمة ولا الخوف ، فهو بطل يخوض الحروب، مرهوب الجانب، يتمتع بالقوة الإلهية.." .**

- ما علق بأفعاله من أساطير

- فيما ذكر في حادثة محاولة اغتياله : حيث كلف ملك المغرب احد خدامه باغتيال الأمير ومنذ فشل هذه الحادثة والأمير يتساءل عن القوة التي منعت العبد من أن يدفن في ظهره سيفه بينما كان هو منكفئا في قراءة القران ، ينحني العبد الغادر بعد فشله في محاولته البائسة عند رجلي الأمير طالبا الصفح عنه : **... يا أمير المؤمنين لقد كلفت بقتلك وها أنا ذا افشل في رفع سيفي ولا أدري لماذا مع أني كنت لوحدي كما ترى؟ عندما هممت بفعل ذلك رأيت هالة من النور ، غمرتني و لم اعد أرى شيئا أبدا فقط هذه علامة من علامات الله ...".**

- يعتقد الناس انه في منطقة جبالة أن الأمير قفز به حصانه من قمة جبل طوماي إلى أسفله وهو يطارد أعداءه فترك حافر فرسه أثرا على صخرة مازال باقيا إلى الآن ، يراه الناس وهم في قمة الدهشة والعجب والتصديق.

- ان شجاعة الأمير وقوته أعطت له قدرة خارقة وبطولة نادرة، فقد قاتل أعداءه ببسالة وأسال دمائهم فارتفعت عن الأرض حتى بلغت صدر جواده فكونت من دمائهم انهارا ووديانا تجري ورؤوسا تتطاير. (محمد العربي، 2018، 62)

- تقديس الناس للشجرة التي بويع تحت الحاج عبد القادر بالإمارة واعتبرت شجرة جديرة بالاحترام والتقدير ، فهي مازالت راسخة في أذهان الناس لما تحمله من تاريخ مليء في الذاكرة وانطلاقة لشخصية تاريخية أسطورية ستكون يوما ما كبوسا لفرنسا . (محمد العربي، 2018، 63)

5- الخاتمة

بما أن التاريخ أحداث ووقائع مضت خاضعة للتفسير والتأويل، فان الأحداث التاريخية قد تتحول لأساطير شعبية، فالتاريخ مصنوع من الأبطال أمثال عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الشعبية المسلحة الذي خلده التاريخ وصنعت منهم الذاكرة الشعبية نماذج رائدة للبطولة الخارقة تتجاوز حدود البشر ، فعامة الناس

رأوا أن الأمير عبد القادر كان يرهب ويرعب الخصوم بعيونه ويقفز من قمم الجبال فيترك اثر جواده على الصخور ويختفي كالساحر من أمام أعداءه .

وفي المقابل فالحديث عن الأمير عبد القادر الجزائري يؤدي بنا الى التعريف بمشروع متكامل المعالم من أمير جهاد ضد العدو الفرنسي الى أمير مفكر عبر صورته العالمية جعل منه رجل عصره ساهم في بناء نهضة عربيه حديثه تتعدى ان تكون وطنيه الى قوميه إسلامية كما ان رؤيته الحدودية تتجاوز الإقليمية فبد تمكن من تأسيس حكم شرعي ودوله حديثه حريصا فيها على فرنسا ان تتعامل مع هوية سياسية وسيادية وشرعيه عكست إيجابا على شخصيته البطولية الحقيقية التي أكسبت الكثير من الأهالي المحبة له فراحوا يبدعون في شخصه ويستلهمون القصص والحكايات من المخيلة الشعبية كغيره من النماذج الرائدة وفشلت فرنسا في النزعة الأميرية كي لا يبقى في الذاكرة الشعبية بفضل المخيال الذي غرس معنى الحب والتمسك بالأبطال لتاريخ يبقى حيا وتتداوله الأجيال المتعاقبة.

6- قائمة المراجع

- أوشاطر مصطفى ، **أسطورة الأمير عبد القادر في المخيال الشعبي**، مجلة بحوث سيميائية، د.ت، جامعة تلمسان، الجزائر.
- برونو إتيان(2001) .**عبد القادر الجزائري** .تر:خوري ميشال، ط2، الجزائر : دار الفارابي،.ANEP .
- بيرنت يوهان كارل (2012)، **الأمير عبد القادر**، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، ط2.
- تشرشل شارل هنري (1974)، **حياة الأمير عبد القادر** ، ترجمة و تقديم و تعليق أبو القاسم سعد الله ، الدار التونسية للنشر.
- الجزائري القاضي مسعود مجاهد (د.ت)، **تاريخ الجزائر، ج2**، مطابع دار الأيتام الإسلامية – القدس – فلسطين.
- حرب أديب (2005)، **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808-1847)** ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر، ط3.
- سبيلا محمد (1992)، **الايدولوجيا نحو نظرة تكاملية** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت.
- السويدي محمد (1991)، **مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.
- العربي محمد (2018)، **أسطورة الأمير عبد القادر في الرسم وفي الشعر الشعبي**، مجلة الواحات للبحوث والدراسة
- عيسوي عبد الرحمان (1984)، **سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي**، دراسة ميدانية مقارنة على الشباب المصري والعربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- الفتيل فوزي (د.ت)، **الفلكلور ما هو ؟** ، مكتبة الادب الشعبي ، دار المعارف ، مصر.

- Assaraf Albert (1999) : **«Du lien aux origines des structures anthropologique de l'imaginaire»** IN : Société, N° 63.
- Bouhdiba Abdelwahab (1978): **Culture et société, publications de l'université de Tunis**, Tunis.
- Radolphe Christin (1999) : **« Transcentalisme anthropologique et imanentisme sociologique : une question d'epistimologie »** IN : Sociétés, N° 63.
- Durand Gilbert (1976) **: L'imaginaire symbolique**, p.u.f, Paris.
- Generale Paul azan (1945) , Sidi brahim, **Horizon de France** , Paris .
- Zerdoumi Nafissa (1982**): Enfants d'hier, l'éducation de l'enfant au milieu traditionnel algérien,** Francois Maspero, Paris, 1982.